الاستقطاب الإقليمي وتأثيره على منطقة الشرق الأوسط
إيران- السعودية أنموذجا- رؤية استراتيجية

م.د. علي عبد المحسن البغدادي
كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة

مقدمة:

تأسيسا لرؤية استراتيجية معينة لا بد من وضع ثلاثة أسس علمية تكون بمثابة انطلاقة لهذا التأسيس.

الأول: تحديد الأفق والمحددات الواقعية للقضية المراد رسم الاستراتيجية لها.

الثاني: تهيئة وسائل ومستلزمات رسم الاستراتيجية ووسائل تنفيذها.

الثالث: الدفاع عن الاستراتيجية لضمان ديمومتها مع خلق رؤى أخرى بديلة أو مكملة لها في حال إصابة الاستراتيجية بالعجز أو الشلل نتيجة الظروف غير المتوقعة التي قد تظهر فيما بعد تنبيها.

وفي هذا البحث المتواضع نحاول أن نطبق هذه الأسس الثلاثة على قضيتنا هنا، ألا وهي الاستقطاب الإقليمي وتأثيره على منطقتنا منطقة الشرق الأوسط، فالاستقطاب الإقليمي ليس شيئا جديدا على البشرية بل هو وضع تأريخي مستمر ومطرد ومتواصل، وإن اختلفت طرق ووسائل هذا الاستقطاب، فتأريخيا يُعدُّ الاستقطاب عاملاً مهماً من عوامل الاستحواذ على العوامل الطبيعية وغير الطبيعية، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها، وهو ما نشاهده بصورة واضحة في تاريخ الحضارات البشرية على مر التاريخ[1]، إذ شكل الاستقطاب أداة رئيسية في الهيمنة على الدول والمستوطنات الأقل قوة من الجهة المستقطِبة، وقد اتخذ الاستقطاب أشكالا عديدة واستخدم وسائل أخرى للهيمنة، تراوحت بين العسكرة والضغط الاقتصادي أو الديني والاجتماعي على الجهة المستقطبة، وطالما وقع الاستقطاب تاريخيا في تموضعات الضعف

والتغيرات الجيو– سياسية– اجتماعية– اقتصادية، مما يعطي الفرصة للقوى المستقطِبة بالاستحواذ وارتهان القوى المستقطَبة. وقد جاء هذا البحث ليدرس مشكلة الشرق الأوسط، والاستقطاب الإقليمي الذي تستعر ناره بين قوى عديدة في خطين رئيسين، هما خط الاعتدال المتمثل في إيران وحلفائها الافتراضيين إقليميا، وخط التطرف وتمثله المملكة العربية السعودية وحلفاؤها الافتراضيون أيضا.

• مشكلة البحث: تتمظهر مشكلة البحث هذا في دراسة مشكلة الاستقطاب في الشرق الأوسط، باعتبارها أهم منطقة في العالم، ولعدة أسباب ربما أهمها، غناها بمصادر الطاقة ودفء أجوائها ومياهها،وتوسطها العالم القديم والمعاصر،وكونها أرض المقدسات والنبوات السماوية وغيرها من الأسباب، مما يعطيها أهمية كبيرة جدا للغرب والشرق على السواء، لذا ولهذه الأسباب وأسباب أخرى تذكر في متن البحث، نشأت مشكلة الاستقطاب للاستحواذ على الدور الإقليمي الأول والأهم، والذي يشكل فيما بعد دورا مهما للمستحوذ الأول، ويدخل كلاعب أساس في الصراع العالمي الذي نشهده الآن بين القوى الكبرى، والتي تحاول جاهدة الاستحواذ على المنطقة من خلال عدة سيناريوهات، أهمها تقسيمها إلى دويلات من خلال صناعة ثورات وهمية تؤدي إلى حروب أهلية بين المكونات العرقية والدينية، وتؤدي بالضرورة إلى التقسيم الذي يضعف الدول المشكلة للمنطقة، مما يسهل الاستحواذ عليها، فالصراع بعد التقسيم يكون على القرب من الغرب لا على الغرب نفسه.

• محددات البحث: يقف البحث عند نقاط محورية مهمة، تشكل في مجموعها لب المشكلة الأساسية، هذه النقاط هي:

١– تحديد منطقة الشرق الأوسط جغرافيا، وهذه النقطة مهمة لتحديد دول الصراع المتحالفة والمؤثرة فضلا عن القوتين الرئيسيتين محور البحث، حتى تكون الحلول ناجعة وواقعية، ولا نذهب ذات اليمين وذات الشمال ونحاور أو نتحالف مع قوى غير ذات تأثير.

٢– عرض مشكلة الاستقطاب وأسبابها ودراسة ظهور هذه الأسباب، وهي دراسة في محددات الاستقطاب، من الحيثية الجيو– تاريخية – سياسية – اجتماعية، فتشخيص الداء نصف الدواء.

٣– وضع الحلول الإستراتيجية الناجعة لهذه المشكلة العويصة، ووسائل تنفيذها وطرق تفعيلها.

• أفق البحث: لا يمكن الجزم بأن هذا البحث سوف يكون عصا موسى (ع) لحل هذه المشكلة، ولكنه على الأقل يقف في صف

البحوث التي كتبت لمناقشة هذه المشكلة وحلها، وربما يصل به المدى إلى حدود غير متوقعة فيما إذا قدر له أن يرى النور، ويخرج من ظلمات القوة إلى نور الفعل، لذا أدعي هنا أن أفق هذا البحث هو رؤية إستراتيجية تظهر أولا على أنها رؤية إقليمية، ولكنها بالواقع رؤية لمشكلة الصراع العالمي ككل ووضع حلول لهذا الصراع وفق رؤية إستراتيجية مبنية على أساس المصالح المشتركة الآنية منها والمستقبلية.

- محتويات البحث: سبق أن اشرنا في محددات البحث إلى القضايا المراد بحثها هنا، وهي بالنتيجة تشكل محاور هذا البحث، ليكون بمقدمة وثلاثة مباحث مع خاتمة ونتائج وتوصيات وقائمة بالمراجع العلمية التي اعتمدت في هذا البحث مع الدوريات والمجلات والمواقع الألكترونية. والمباحث هي:

١- المبحث الأول: منطقة الشرق الأوسط وأهميتها الاستراتيجية.

٢- المبحث الثاني: عرض محددات مشكلة الاستقطاب.

٣- المبحث الثالث: رؤية استراتيجية لحل هذه المشكلة.

المبحث الأول: منطقة الشرق الأوسط وأهميتها الاستراتيجية:

المقصد الأول: موقع المنطقة جغرافيا:

تتوسط منطقة الشرق الأوسط العالم، وقد اختلف في تحديد الدول التي تشكل الشرق الأوسط سعة وضيقا إلا أنها في الواقع تشكل منطقة تحوي عدة دول عربية وإسلامية (فسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق ومصر تشكل نواة هذه المنطقة وقد أدخل الكتاب فيها أيضا تركيا وإيران وشبه الجزيرة العربية والسودان بل إن بعض الكتاب يدخلون فيها باكستان وأفغانستان أيضا)[٢].

وإن استقر الرأي الآن على أن موقع منطقة الشرق الأوسط، يشتمل على كل من الدول الآتية، (العراق، إيران، تركيا، سوريا) مضافا إليها (لبنان، الأردن، فلسطين، شبه الجزيرة العربية ودولها السعودية، الكويت، البحرين، قطر، عُمان، الإمارات العربية المتحدة، اليمن)، على أنها الدول التي تشكل ما يعرف بمنطقة الشرق الأوسط. وتعرف أيضا هذه المنطقة بمنطقة الشرق الأدنى، أي الأدنى إلى أووربا والعالم الغربي، وقد ظهرت هذه المنطقة عمليا كواقع سياسي بعد اتفاقية سايكس- بيكو، وبعد تفتت الدولة العثمانية وانهيار سلطتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)[٣]. ونلاحظ كما لاحظ الآخرون صعوبة تحديد منطقة الشرق الأوسط كجغرافيا ثابتة، نتيجة التحولات المستمرة في العوامل المحددة سياسيا واقتصاديا، فمنطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا وقسم من هضبة الأناضول

والهضبة الإيرانية، تشكل علميا منطقة الشرق الأوسط، (فالغموض الذي يكتنف تحديد مفهوم إقليم الشرق الأوسط يعود إلى أن هناك نوعا من المفهوم المسبق، أدى إلى التباس بين ثلاثة مصطلحات: الشرق الأوسط–الوطن العربي– العالم الإسلامي)[٤]. وعلى أية حال (فالشرق الأوسط مصطلح جغرافي وسياسي شاع استخدامه في أجزاء العالم المختلفة. إذ إن التسمية، ولو قصد بها وبغيرها، تقسيم الشرق إلى أقسام حسب البعد والقرب من أوروبا، إلا أن الإقليم في الواقع هو إقليم أوسط بالنسبة لخريطة العالم بصفة عامة، والعالم القديم بصفة خاصة) [٥]. ويستقر الرأي الآن عند الباحث على أن منطقة الشرق الأوسط هي المنطقة التي تشكلها دول(العراق، إيران، تركيا، سوريا)، مضافا إليها دول (مصر، لبنان، الأردن، فلسطين، وشبه الجزيرة العربية ودولها كل من العربية السعودية، الكويت، البحرين، قطر، عُمان، الإمارات العربية المتحدة، اليمن). وسبب هذا الاستقرار هو وحدة هذه المنطقة في التأثير على السياسة الدولية اقتصاديا وسياسيا، ولما تحتويه من المصادر الرئيسية للطاقة في العالم، وكون خطوط النقل العالمية لابد أن تمر بها، مع ملاحظة الوحدة الدينية والاجتماعية لأغلب سكان هذه المنطقة.وعليه تكون دول قطب الصراع في هذه المنطقة وبحسب التأثير الجيو – سياسي، هي (العراق، إيران، السعودية، تركيا، سوريا).والدول المتأثرة بهذا الصراع هي البقية.وسبب هذا التحديد عوامل عدة، فـ(وفقا لمفاهيم علم الجغرافيا السياسية، فإن أقوى دولتين في منطقة الخليج – والشرق الأوسط – بكل المقاييس – بخلاف المقياس الاقتصادي–هما العراق وإيران،فضلا عن عوامل أخرى مثل، التاريخ، وعدد السكان، والمساحة الجغرافية)[٦]. إلا أن خروج العراق من دائرة الاستقطاب وليس الصراع، بعد الاحتلال الأمريكي – البريطاني له عام ٢٠٠٣ أظهر السعودية كبديل مؤقت عنه وكعنصر استقطاب مهم بسبب تكدس الثروة من العائدات النفطية وظهور أشخاص طموحين للهيمنة على العالم الإسلامي وفق المنهج الوهابي المتطرف، وإخراج مصر المترنحة تحت الفساد السلطوي– للنظام المنهار السابق–، من دائرة التأثير الديني والذي يمثله جامع الأزهر المعتدل نسبيا، ومع انشغال تركيا في الانضمام المنتظر للاتحاد الأوروبي، تبقى إيران والسعودية هما القوتان الأكثر تأثيرا في عملية الاستقطاب، وباقي الدول تشكل معسكري الاستقطاب لهاتين الدولتين.فالصراع الآن يدور حول موضوع الانتصار في سوريا–

كأرض يدور عليها الآن الصراع الدولي–، بين إيران وحلفائها مدعومة من روسيا، وبين السعودية وحلفائها مدعومة من الغرب وأمريكا تحديدا، الصراع قد يطول لسنوات وقد يحسم لطرف على حساب طرف أخر، وربما تكون هناك (لبننة) لسوريا، واتفاق كاتفاق الطائف عام ١٩٩٠م، لتقسيم السلطة في البلاد سياسيا، وأن كان التقسيم في لبنان واقعيا أكثر منه سياسيا، فالاستقطاب بكل الأحوال نتجت عنه معركة سوريا، وهذه المعركة تريد أن تطيح بالعراق أولا، سيما بعد التحولات الكبيرة التي حدثت فيه فأي نظام عراقي جديد (سوف يمثل تحديا اقتصاديا لدول مجلس التعاون الخليجي، عند محاولته زيادة إيراداته إلى أقصى حد ممكن، بهدف إعادة التعمير والإغاثة بعد الحرب والعقوبات، فعلى الصعيد الاقتصادي سوف يحاول العراق زيادة إيراداته بطرق عديدة، منها بيع النفط بأسعار مخفضة، وتوسيع أسواقه بنشاط وسرعة، وإسقاط ديونه بدلا من تسديدها) [٧]. وتريد تحييد إيران ثانيا بتهويل موضوع النووي الإيراني وقضية الهلال الشيعي، وعزل حزب الله وتجريده من سلاحه ليزول أهم تهديد للكيان الإسرائيلي على حدود فلسطين، والأهم الحفاظ على الهيكل السعودي للحكم وحمايته من الزوال بعد أن بدء بالتآكل داخليا، وكذلك تحقيق طموحات الغرب الاستعماري المعاصر بالهيمنة التامة على هذه المنطقة، وإذا تابعنا الدور التركي فسوف نلاحظ بداية انحساره سيما، بعد التهديدات الإرهابية لتركيا من قبل الجماعات المتطرفة، والتي ساهمت تركيا على تغذيتها ودعمها منذ سنوات، ولكن هذا لا يعني ضعف الدور التركي، بل تغيره ربما لمصلحة الإطراف التي تحارب التطرف والإرهاب في المنطقة، وهذا التغيير الإستراتيجي ربما يكتمل بعد زوال حكومة أردوغان الحالية وصعود حكومة جديدة، وربما لا تكون حكومة ذات توجهات أو مرجعيات إسلامية، ولكنها بالتأكيد سوف تحارب التطرف، مما يجعلها حليفاً إستراتيجياً مهماً جدا في الاستقطاب الحالي في المنطقة، أما الدور المصري فهو محسوم بشرط واحد، هو ثبات حكم العسكر وانتخاب المشير عبد الفتاح السيسي كرئيس لمصر، فبوصوله إلى السلطة سوف يحوز على شرعية مقبولة دوليا وإقليميا، ولكن السؤال المهم هنا، هل سوف يتجه نحو الدخول في الاستقطاب أم سوف يتحول إلى بناء الداخل وترميمه، سيما بعد معاول التهديم التي عملت فيه لسنوات طويلة، وأكملها حكم الأخوان المسلمين لفترة سنة واحدة، هنا يظهر لدينا أن دول الاستقطاب الرئيسية هي إيران– العراق وحلفاؤهم،السعودية وحلفاؤها،هذا الصراع قد تم التنبوء به سابقا (هناك اليوم تنافس بشأن النفوذ

والدور في لبنان، مما يعكس صراعا عميقا بشأن طبيعة سيادة لبنان واستقلاله ونطاقهما، وهو صراع إقليمي بطبيعته، إذ أنه على–سبيل المثال– يؤثر في كل المصالح السورية والإيرانية ويتشابك معها، ويتسع ليشمل مصالح الأمن القومي لكل من مصر والأردن ودول مجلس التعاون الخليجي، بالإضافة إلى أطراف أخرى في المنطقة، ويمكن توضيح الارتباط المباشر للوضع في لبنان بأمن الخليج وذلك من خلال جهود الوساطة التي تبذلها العربية السعودية وإيران من أجل التوصل إلى تسوية بين القطبين الرئيسين في لبنان، وتعكس هذه المساعي الإقرار بتنامي دور إيران في المنطقة، ويمكن ملاحظة الأهمية المتجددة للهويتين السنية والشيعية في أرجاء المنطقة كافة، مما يكشف ظهور صراع جديد في الشرق الأوسط)[٨]، وانطلاقا من هذه الرؤية سوف نبني دراستنا هذه.

المقصد الثاني: التحالفات المعلنة والسرية في منطقة الشرق الأوسط.

لعله لا يخفى على الباحثين والمفكرين أن هناك تحالفات معلنة وأخرى سرية في منطقة الشرق الأوسط، ومن أبرز التحالفات المعلنة هي مجلس التعاون الخليجي مع مصر والأردن، والمعروفة ٦+٢. وتحالف إيران مع سورية وحزب الله بصورة معلنة، ومع جهات سياسية وحزبية في العراق بصورة غير معلنة، كذلك هناك علاقات تصل إلى حد التحالف بين الكيان الإسرائيلي والأردن ومصر بصورة معلنة، وبين الأول وقطر والسعودية بصورة غير معلنة، وربما استفادت بعض دول مجلس التعاون من علاقة الأردن ومصر في أن تلعب الأخيرتان دور الوسيط الإقليمي بين الكيان الإسرائيلي وبين دول مجلس التعاون الخليجي مجتمعة أو منفردة، ولعل أبرز مؤشر على وجود تحالفات غير معلنة (هو ما حدث في تشرين الثاني/١٩٩٥م في جنازة إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي اغتيل في إسرائيل. فقد حضر الجنازة التي أقيمت في القدس ممثلون من سلطنة عُمان ودولة قطر وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وفي أول زيارة يقوم بها الملك حسين بن طلال شخصيا للقدس منذ ثمانية وعشرين عاماً، ألقى كلمة مؤثرة في تأبين رابين، وبعد ذلك بفترة وجيزة وجهت عُمان وقطر والبحرين دعوة رسمية لشمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد لزيارة هذه الدول، وهكذا تمخض عن حادثة الاغتيال دليل قوي، يرمز إلى حدوث تغير فعلي في الشرق الأوسط)[٩]. أما بالنسبة للفريق الآخر (فإن ما يجري في لبنان–

وسوريا- لم يعد منفصلا عن الجوار العربي المقسوم بشدة بين حليف لواشنطن وغير معاد ضمنا لتل أبيب، وبين فريق أخر يتشكل ضمن المحور الأخلاقي الكبير الذي تشكل طهران مركز الثقل فيه)[١٠] أما بالنسبة لتركيا أردوغان فلا تزال مترددة ومضطربة إلا أنها (بدت على مسافة من مشاريع واشنطن الانفرادية، وفي القراءات التركية الجديدة الآن لحزب العدالة والتنمية، فريق أساسي له وزن يصر على أن واشنطن تمارس مع تركيا الجديدة عملية اغتيال عنيف، ويدفع هذا الفريق نحو المواجهة كملف، وينادي بضرورة تطويق قدرات الفعل الأمريكي ليس في تركيا فحسب بل في المنطقة، وخسارة تركيا تعني مشكلة بنيوية كبيرة في أرضية الفعل الأمريكي في المواجهة بين طهران وواشنطن)[١١].

ولكي ننجح في تقديم صورة جديدة عن ماهية الصراع الدائر الآن في منطقة الشرق الأوسط، لابد من تفكيك لهذه التحالفات وبناء تحالف جديد يقوم على أسس غير التي قائمة الآن، ونفترض هنا فكرة لتحالف جديد. التحالف يقوم على أساس فرضية يتم التأسيس لمعطياتها لاحقا في هذا البحث، ولكن كتصور أولي استباقي نقرر هنا الآتي: مرت المنطقة ولا تزال تمر بعلاقات قلقة وغير مستقرة ولا سيما (العراق، تركيا، إيران، سوريا، دول الخليج، وباقي دول المنطقة)[١٢].

وصلت في بعض الأحيان إلى القطيعة بل الحرب، ربما بسبب عوامل تاريخية وعرقية واجتماعية ودينية، وربما بسبب عوامل أخرى.التاريخ الذي بين أيدينا الآن فيه العديد من الشواهد على ما ذكرنا، وأغلب الظن أن المشكلة هي تضارب وتقاطع للمصالح بين هذه الدول" وربما دول غيرها قريبة جغرافيا"، ولا سيما (دول مجلس التعاون الخليجي الستة+٢) فالدول الأربعة والتي حددناها كدول أساس الاستقطاب، تشترك في المصالح الآتية:

١- المياه: إذ تستفيد هذه الدول من نهري دجلة والفرات.

٢- الموارد الطبيعية: فحدود هذه الدول متداخلة وبالتالي تكون مشكلة تقاسم الموارد الطبيعية مشكلة حقيقية.

٣- العرقيات: تعيش في هذه الدول عرقيات متعددة كالكورد والتركمان والأتراك وغيرهم، وبأعداد مختلفة وبمناطق متقاربة جغرافيا بل متلاصقة في بعض الأماكن.

٤- الديانات: تشترك هذه الدول بالدين الإسلامي كدين رئيسي لأغلب شعوب هذه الدول، مع تنوع مذهبي في نفس الدين الواحد، مضافا إليها وجود أديان أخرى كالمسيحية واليهودية والزرادشتية ونحوها. وشكل هذا التنوع الديني والمذهبي مشكلة أدت إلى حروب طاحنة وتبادل للسلطة

بشكل دموي" الدولتان العثمانية– والصفوية (بتعدد عوائلها وسلاطينها) أنموذجا" على طول رقعة العراق وسوريا وتركيا الجغرافية.

٥– العلاقات الاجتماعية: تشترك هذه الدول الأربع بعلاقات اجتماعية متداخلة إلى حد بعيد، مثل الزيجات المتبادلة والإقامة المستمرة التي تصل في أحيان كثيرة إلى حيازة جنسية البلد الآخر، بل حتى نقل الموتى والدفن في العتبات والمزارات الشريفة في العراق وفي سوريا وإيران.

٦– العلاقات العلمية والثقافية: تشترك هذه البلدان في الجانب العلمي والثقافي من خلال تبادل الطلبة بين حوزاتها وجامعاتها ومعاهدها، واستمرار بعض الطلبة في التحصيل إلى أخر حياته [١٣].

٧– التبادل التجاري والاقتصادي: وهذا التبادل تأريخي ولا زال مستمرا لحد هذا اليوم ويتفاوت سعة وضيقا تبعا لنوع العلاقات التي تنشأ بين هذه الدول الأربع ونوع الحكومات التي تتسنم سدة الحكم فيها.

وطالما شكلت هذه الأسباب وغيرها عوامل ضغط تستخدمها هذه الدول لتنفيذ مصالحها على أرض الدول الأخرى، وجرت حوادث مؤلمة معروفة لدى الأعم الأغلب من الناس.فالأجدى الآن تحويل هذه العلاقات إلى واقع استراتيجي يفكك باقي التحالفات الموجودة ويدخلها ضمن إطار هذا الحلف الافتراضي.

كل هذه العوامل التي كانت عقبة وسبباً رئيسياً في نشوء النزاعات والتوتر من الممكن أن تنتج تحالفا إستراتيجيا بين هذه الدول الأربع، يتحول فيما بعد إلى اتحاد إستراتيجي.فتركيا تعلم بأن الاتحاد الأوروبي لن يسمح لها في يوم من الأيام أن تكون شريكة معه، فمن غير المنطقي أن يغفل الاتحاد الأوروبي موضوع دين الشعب التركي – أي الدين الإسلامي– ويسمح لعشرات الملايين من المسلمين الأتراك بالدخول والخروج وممارسة العمل والتنقل بين بلدان الاتحاد الأوروبي. كما أن النفس السائد في هذه البلدان ضد دخول تركيا في الاتحاد الأوروبي. وإنشاء علاقة إستراتيجية مع إسرائيل أو غيرها من بلدان المنطقة أمر غير واقعي، بسبب عدم موافقة شعوب هذه الدولة– تركيا– فضلا عن شعوب البلدان الثلاثة الأخرى على هذه العلاقة. والحكومات تدرك هذا الأمر جيدا. إضافة إلى التغيرات المستمرة في الخريطة السياسية والاقتصادية لبلدان العالم مما تشكل خطورة حقيقية على سيادة هذه البلدان. إذ عرفنا أن اقتصاد هذه الدول قلق وغير مستقر.هذا بالإضافة إلى إرهاصات نهوض الصين كقطب

منافس للولايات المتحدة الأمريكية، في المستقبل غير البعيد، مما ينذر بتغيير في خارطة العالم للخمسين سنة القادمة.

هذه الفكرة سوف نضع لها الإطار لاحقا ضمن هذا البحث، ولكن تم تقديمها لتكوين فكرة عن ماهية الصراع، وشكل التحالفات التي ينبغي أن تقوم في المنطقة لإنهاء الاستقطاب بكل أنواعه وأشكاله.

المبحث الثاني: محددات مشكلة الاستقطاب:

نقصد بالمحددات هنا- أي في هذا البحث- محاور الصراع ومشاكله الأساسية، أو بعبارة أخرى قضاياه الإستراتيجية التي تشكل مصير المنطقة والتوجهات الدولية نحوها.وبعرض وتوصيف المحددات نستطيع تقديم الرؤية الإستراتيجية لحل هذا الاستقطاب أو تحييده أو السيطرة عليه في أسوأ الأحوال.

فقد حدثنا التاريخ القديم والمعاصر عن هذه الموضوعة، وأن أخطر الحروب والنزاعات تنتج عن الاستقطاب.فالموضوع خطير لدرجة تنتج عنه حروب بل تقسيمات للدول المتحاربة، فحروب الاستقطاب لا منتصر فيها أبدا[١٤].

يمكن أن ندرج محددات الاستقطاب في النقاط الافتراضية الآتية ثم نناقشها كلا على حدة:

١- القضية المذهبية:- وهي مقولة التوسع والتمدد الشيعي على حساب الوجود السني في مناطقه التقليدية.ورائد هذه الأطروحة السعودية وحلفاؤها في المنطقة.

٢- مصادر الطاقة:- وهي تشكل خطورة كبيرة على مستقبل المنطقة والعالم، باعتبار أن منطقة الشرق الأوسط هي الأغنى بهذه المصادر، وهي الممول الرئيس للعالم بمصادر الطاقة.

٣- القضية الفلسطينية:- فالظاهر أن القضية تحولت إلى نزاع على الأرض بين الفلسطينيين والصهاينة، وكأنما هناك قضية تنظر في محكمة البداءة حول تنازع بين خصمين على قطعة أرض.

٤- الممرات المائية ومشكلة المياه العذبة:- وهي مشكلة كبيرة جدا سيما مضيق هرمز ومضيق باب المندب وقناة السويس، وكذلك الأنهر العظيمة في المنطقة والتي تشكل مياهها مصدرا رئيسيا للحياة لمئات الملايين من الناس، فهي الممرات الرابطة بين الشرق والغرب، وهي ممرات سفن البضائع والسلع، وكذلك حركة السفن الحربية، والأهم هو حركة ناقلات النفط والغاز. إضافة إلى الزراعة والصناعة وغيرهما من موارد الدخل الرئيسية لشعوب هذه المنطقة.

٥- القضية الكردية:- بما أن الكورد يشكلون منطقة متصلة جغرافيا بين (العراق، إيران، سوريا، تركيا) وبما أن للكورد حلماً وطموحاً في تأسيس دولتهم العتيدة، تبرز هذه المشكلة كواحدة من

محددات الصراع، على طول الخط التاريخي لموضوعة الاستقطاب في المنطقة.

المقصد الأول: القضية المذهبية:

ليس خفيا على أحد تعقيدات القضية المذهبية وعمق النزاع بين الشيعة والسنة على مر خمسة عشر قرنا،تاريخيا يعتقد الشيعة بأحقية أهل بيت النبي الأعظم محمد(ص) بالخلافة باعتبارهم قادة العالم وبنصوص قرآنية وروائية كثيرة[١٥]. وربما حاول البعض تصوير هذا النزاع على أنه نزاع سياسي في الأصل، حول قضية السلطة وأن خروج أهل البيت (ع) ولاسيما الإمام الحسين (ع)، هو خروج على السلطة الشرعية، وبالتالي فهو (ظالم) وقد (قتل بشرع جده أو بسيف جده)[١٦]. وهذا الكلام يصح لغير أهل البيت (ع) فهم (ع) يرون الحكم وسيلة لبلوغ غاية سامية، إلا وهي تحقيق دولة العدل الإلهي على الأرض، فالخلافة فرع الإمامة كما هو واضح عند مدرسة أهل البيت (ع)، وعلى العموم فهذا النزاع المذهبي ليس جديدا بل يعود إلى بداية صدر الإسلام وأستمر إلى يومنا هذا والأساس فيه هو النزاع القبلي الذي وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[١٧] فنزاع أمية وهاشم ليس جديدا بل منذ حبا الله هاشم وأخزى أمية. وهذا النزاع ربما يدوم ويستمر طويلا فله جذور عميقة وموغلة في التاريخ[١٨].

هذه القضية عادت وثارت من جديد وبحدة غير مسبوقة تاريخيا، فقد أذكت هذه القضية عدة تحولات جيو- سياسية في المنطقة، منها سقوط النظام البعثي في العراق، وصعود الشيعة للحكم فيه، وانتصار حزب الله على الكيان الإسرائيلي عام ٢٠٠٠م وانسحاب الجيش الإسرائيلي المخزي من جنوب لبنان، وكذلك انتصار حزب الله مرة ثانية على ماكنة جيش الدفاع الإسرائيلي عام ٢٠٠٦م، وتقدم برنامج إيران النووي، وظهور حكومة إسلامية سنية بامتياز في تركيا مضافا إليها توسع المد الوهابي التكفيري ومنطلقه من السعودية الخ..... هذه العوامل وغيرها دفعت بعض المتطيفين ووعاظ السلاطين وفقهاء الفضائيات إلى البدء ببرنامج تحريضي- ولا استبعد وجود يد صهيو-أمريكية خلفه لتعلق مصالحهما بتقسيم منطقة الشرق الأوسط الذي يضعفها لدرجة تضمن معها أمريكا وحلفائها أمن إسرائيل إلى أجل ليس قريباً. وقد جاءت نتيجة هذه القضية عكسية تماما بالنسبة لإسرائيل وأمريكا وحلفائهم، فقد وصل التطرف إلى حد ديارهم. وعلى العموم فقد ساهمت القضية المذهبية بصورة كبيرة في قضية الاستقطاب،

بحيث أصبحت المؤثر الرئيس فيها،وهو أمر في غاية الخطورة إن لم يتم علاجه سريعا، والعلاج يكمن في تحييد هذه القضية، والتحييد لا يأتي من أطروحات الوحدة الإسلامية كونها أصبحت غير ذات جدوى، رغم جزمنا بإخلاص نوايا القائمين عليها، فالسنة تريد من الشيعة أن تترك مذهب أهل البيت(ع) ويدخلوا في حزب بني أمية ومذهبهم، والشيعة يطالبون بالمستحيل من السنة إلا وهو الاعتراف بهم واحترام وجودهم، كمكون رئيسي في الجسد الإسلامي، فلا السنة يعطون هذا الاعتراف للشيعة ولا الشيعة يتركون مذهب أهل البيت(ع) من أجل الاعتراف بهم، ولكن يتم تحييد هذه القضية من خلال أفراغها من محتواها، فأي قضية صعبة يكمن حلها في إفراغها من محتواها، أي تكمن صعوبة الحل في سهولة الوسيلة، فتأسيس الحلف الرباعي المفترض كفيل بإفراغ هذه المشكلة من محتواها، فلا تعود تصلح كوسيلة للاستقطاب.فالسعودية وحلفاؤها التقليديين يدفعون باتجاه حرب مذهبية في المنطقة، بحجة التوسع الشيعي في المنطقة،وهذا الدفع في باطنه سياسي صرف فالهدف هو المحافظة على كراسي الحكم والسلطة والامتيازات التي توفرها هذه المناصب الحساسة، سيما وأن السعودية من الدول التي يستبطن اسمها العبودية بصورة واضحة.ورغم تآكل النظام من الداخل بصورة واضحة وان عتم عليها، فأن مسألة من يخلف الملك عبد الله تبقى مفتاح للصراع الداخلي بين العائلة الحاكمة، قد تؤدي إلى تفكك البلد وتشظيه إلى دويلات ضعيفة، وبالتالي يضعف هذا الصراع القائم الآن بالفعل من تأثير السعودية كراعٍ للتطرف والمتطرفين في المنطقة والعالم.

المقصد الثاني: مصادر الطاقة.

ربما من المعلوم لدى الباحثين عموما أهمية منطقة الشرق الأوسط بخصوص موضوعة مصادر الطاقة، فتعد هذه المنطقة الأغنى في العالم بمصادر الطاقة الأحفورية، الجيدة النوعية والرخيصة نسبيا والقريبة من خطوط النقل الدولي، هذه النعمة انقلبت نقمة على هذه المنطقة، فالأطماع المتزايدة للقوى الكبرى بالاستيلاء على منابع الطاقة بأي صورة ووسيلة كانت، فرغم انتهاء عصر الاستعمار الكولونيالي الذي رافق الثورة الصناعية الكبرى في أوروبا، ثمة استعمار جديد ظهر مع ثورة المعلومات والتقنية استعمار مابعد حقبة الثورة الصناعية،هذا الاستعمار حمل معه لغة جديدة هي لغة حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في بلدان العالم الثالث المضطهدة، ولمصادر الطاقة هذه أهمية كبرى للغرب عموما، فقد استوردت ألمانيا ما قيمته ١٤ مليار دولار من النفط الخام عام ١٩٩٤م، منها ٣٥% من الشرق

الأوسط[١٩]. يذهب الأستاذ محمود الشرقاوي إلى أن الصراع حول مصادر الطاقة بدء بالفعل بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت منطقة الشرق الأوسط هي المرشحة للاستحواذ من قبل القوى المنتصرة بالحرب الأولى أي دول الحلفاء، سيما بعد تفكك الدولة العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤م، وكانت الدول المتصارعة على هذه المنطقة هي فرنسا وبريطانيا بالدرجة الأولى، بينما تأتي أمريكا متأخرة في هذا الصراع، رغم أنها استحوذت على أغلب نفط المنطقة فيما بعد، فالبترول بحسب الشرقاوي هو مفتاح الصراع في الشرق الأوسط[٢٠]. فمع هذه الأهمية المتزايدة للطاقة في العالم ومع وجود مبدأ الاستحواذ الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة تبرز الحاجة للتفكير بجدية في حلول ناجعة، تسيطر فيها الدول المستهدفة على مواردها وتحقق سيادتها، فالكثير من مشيخات الخليج وعلى رأسهم السعودية، سلمت بصورة من الصور زمام أمرها إلى أمريكا بحجة الحماية من الدول العدوانية في المنطقة، وعلى رأسها العراق وإيران، ومع وجود هذا الصراع في المنطقة فمن البديهي أن يشكل هذا الصراع خطرا على مصالح هذه القوى، وهذا الخطر شكل ذريعة للدخول إلى المنطقة ومحاولة الهيمنة والسيطرة، وحتى مع الوفرة النسبية في مصادر الطاقة نتيجة الاكتشافات الجديدة في أمريكا فهذا لا يعني أنها تترك مصالحها في الشرق الأوسط، (فسوف تظل أميركا لاعباً في الشرق الأوسط لضمان مصالحها فيه، ولكن انخراطها لن يكون عسكرياً مفرطاً بالضرورة.وظهرت شواهد التراجع الأميركي عن الانخراط في شؤون المنطقة مع سحب القوات من العراق، ثم مفاوضاتها مع إيران على الملف النووي، ومن إحجامها عن التدخل عسكرياً في سوريا. والإحجام الأخير يعني أن واشنطن انسحبت من دورها كلاعب إقليمي في الشرق الأوسط مثلما كانت منذ تسعينيات القرن الماضي بوجودها العسكري في مياه الخليج، أو كما أصبحت منذ احتلال العراق العام ٢٠٠٣ ومن قبله أفغانستان العام ٢٠٠١. ويثبت هذا الانسحاب الإقليمي لواشنطن موازين قوى جديدة، تبدو مواتية لإيران)[٢١] هذه السياسة هي سياسة الرئيس باراك أوباما لهذه المرحلة وهي تدخل ضمن الخط التكتيكي للسياسة الأمريكية الذي يفضي إلى الخط الإستراتيجي فيما بعد، وهي بقاء مبدأ الاستحواذ ولكن بصور وطرق ووسائل أخرى تفرزها إدارة البيت الأبيض القادمة.أي أن هذه السياسة الآنية تدخل ضمن المتغير والمتحرك في

السياسة الأمريكية، ولا يدخل في نطاق العمق الإستراتيجي الأمريكي الذي يشكل الاستحواذ أهم مرتكزاته.وهذا الاستحواذ مكنت له العديد من العوامل لكن أهمها هو الاستقطاب، فالدول التي تشعر بالضعف ولا سيما دول الخليج تحاول أن تحمي نفسها بشتى الصور والوسائل، وهي تحتاج إلى من يحميها من الآخرين، هذا الوهم ظل مهيمنا ومسيطرا وسبب هذا الوهم هو ماكنة الإعلام والسياسة الغربية والتي صورت لهذه الدول، أن العدو على الأبواب وأن هذا العدو هو نفسه الأخ في الدين والشريك في الجغرافيا.

المقصد الثالث: القضية الفلسطينية.

منذ أن بدأنا نميز بين الحق والباطل، سمعنا عن قضية العرب والمسلمين المركزية، إلا وهي قضية فلسطين المغتصبة، أبيحت المحرمات كلها في سبيل هذه القضية، فامتلأت السجون والمعتقلات بالرجال والنساء والأطفال ومن كل الملل والأديان والأعراق، وغصت الأرض بالأجساد المهشمة البريئة، وضج الشرق والغرب بالملايين من النازحين والمهاجرين والمهجرين قسرا عن ديارهم، كل هذا من أجل هذه القضية، فلتسلب الحريات ولتنتهك الأعراض ولتشوه سمعة الناس وليخترق الدين والفكر والعقيدة،ولكن المهم هو قضيتنا المركزية.؟كانت هذه هي سمات البلاد العربية والإسلامية لعقود مظلمة وطويلة، وكانت هذه هي سمة القادة العرب الأشاوس، أبطال على أبناء جلدتهم، وخنازير مدجنة أما الصهيونية العالمية، باسم القضية اغتصبت حقوقنا كلها، والآن أين هي القضية؟لقد ربحت ونجحت الصهيونية العالمية، في تحويل القضية الفلسطينية بانحناءات عديدة وغيرت مجرى الأحداث كما يغير دجلة والفرات مجراهما طيلة الزمان، فكان الصراع فيما سبق من السنين، إسلامي وعربي– صهيوني، ليتحول إلى شرق أوسطي – صهيوني فيما بعد، ثم فلسطيني – إسرائيلي أخيرا،ثم ليتحول الصراع تحولا دراماتيكيا إلى صراع عربي – إيراني، أو بمعنى أدق سني – شيعي، فاليوم لا يتحدث أحد إلا عن الصراع بين السنة والشيعة، وعن الامتداد الشيعي الافتراضي بين دول المنطقة ذات الأغلبية السنية، أي بين إيران باعتبارها جمهورية شيعية وبين العراق باعتبار الأغلبية الشيعية وباقي بلدان الوجود الشيعي، وبين ممالك ودول السنة وعلى رأسها السعودية ودول مجلس التعاون، هي بداية لحرب دينية نجحت الدوائر الصهيونية العالمية في التخطيط لها، فالقضية المركزية الجديدة هي تصفية الشيعة وإنهاء وجودهم باعتبارهم الأعداء الحقيقيون، لقد تفاعل قادة الربيع العربي الجدد وقادة العرب التقليديين مع هذه القضية، وبدأت دوائر الأعلام التابعة لتلك الممالك والدول تؤجج وتهيئ الناس

للقضية الجديدة، الكل يعتقد أن الكيان الصهيوني سوف يضرب إيران، ولكن هل فعلا يستطيع الكيان الصهيوني ضرب إيران بدون أن يكون قد اطمأن فعلا لكل حلفائه الموجودين في المنطقة؟

لم يبقَ في دائرة الصراع الآن ومن حملة هم القضية القديمة إلا سوريا ولو شكليا بسبب الفتنة الداخلية وإيران والشيعة بصورة عامة مع بعض المؤمنين بالقضية فعلا، فسوريا الآن بحاجة إلى من يساعدها، للخروج من حربها مع التكفيريين منتصرة أو بحفظ ماء الوجه في أحسن الأحوال، وحزب الله الآن في حالة لا يحسد عليها بسبب الضغوط الداخلية والإقليمية حول موضوعة سلاحه، فسوريا تشكل العمق الاستراتيجي لحزب الله اللبناني، وفي حال نشبت الحرب بين الكيان الصهيوني وبين إيران، فحزب الله سوف يتدخل فعلا، ولكن السؤال هنا، كم يستطيع حزب الله اللبناني الصمود وخطوط الدعم اللوجستية مقطعة في أغلبها بسبب أزمة سوريا؟ أما العراق فمشغول بهم داخلي خلفه له حزب البعث البائد والاحتلال الأمريكي – البريطاني، والله أعلم كيف ينتهي هذا الهم وكيف هي النتيجة، أن الكيان الصهيوني قد ضمن أن إيران سوف ترد عليه وعلى كل دول الخليج والدول المتحالفة معه سرا أو علانية، في حال تم استهدافه من قبل جيش الكيان الصهيوني، وبالتالي فأن الخليج سوف يرد على الهجوم الإيراني، فيتم تقسيم عبء المعركة بين كل الشركاء،تبقى أمريكا، فموقفها يتسم بالغموض لحد هذه اللحظة، فهي الآن وبحسب الظاهر متقاطعة مع الكيان الصهيوني، بسبب موضوعة الحرب على إيران وبسبب قضية الاستيطان في فلسطين وتعثر عملية السلام، وبسبب برنامجها النووي أيضا،وكل هذا بحسب الظاهر من الادعاءات والتصريحات،ولكن هناك محاولات لإذابة الجليد بين الطرفين، أي الكيان الصهيوني وأمريكا، ولكن الذي يعرف السياسة الأمريكية، يعي تماما أن الولايات المتحدة الأمريكية،لها خطان متوازيان في العمل السياسي، الأول هو الخط الظاهري البرجماتي، الذي يقبل التغيير والتغير بحسب الظروف الموضوعية التي تظهر على الساحة الدولية والتي تفرضها ساحة العمل الدولي،والثاني هو الخط الاستراتيجي، الذي لا يتغير أبدا مهما كانت الظروف،ومهما كانت الصعوبات، فالولايات المتحدة لن ولم تترك إسرائيل تحارب وحدها، وفي أسوء الظروف سوف تدعمها لوجستيا، فهي الحليف الرئيسي لها في الشرق الأوسط والعالم العربي والإسلامي، ولكن من الممكن أن نقرأ الموضوع بطريقة أخرى أقل حدة، فلو اتسمت إيران بضبط النفس ولم تهاجم

مصالح الولايات المتحدة في الخليج والمنطقة، في حال هاجمها الكيان الصهيوني، واكتفت بالرد عليه فقط، فأن الدول العربية أصحاب القضية القديمة، ورعاة القضية الجديدة، سوف يدعمون إسرائيل، وفي أسوء الأحوال دعما لوجستيا، أن أصحاب القضية القديمة، أشبه الناس بصويحبات النبي يوسف(ع)، فهن لم يظهرن الشغف به(ع) أمام الملا، كما أظهرته زوجة عزيز مصر، ولكنهن بالواقع أكثر شغفا منها به(ع)، وقد نجاه الله سبحانه وتعالى كما نرجو أن ينجينا منهن، وأرجو أن يرجع دعاة القضية الجديدة إلى رشدهم، ويتوبوا كما تابت زوجة العزيز، لأن الاستمرار بهذه القضية سوف يدخلنا في حرب دينية حقيقية،تكون كل الحروب الدينية في التاريخ قياسا لما سوف يحدث بمثابة نزهة،لقد ضاعت القضية تماما، واغتصبت فلسطين وفقدت عذريتها منذ عام ١٩٤٨، ولم يبق الآن من القضية القديمة سوى الذكريات المرة، لقد بدأت الآن قضية جديدة بقيادة الكيان الصهيوني وحلفائه في المنطقة والعالم، هدفها إبادة آخر حماة القضية المركزية للعرب والمسلمين، القضية الفلسطينية، ألا وهم شيعة آل محمد (ص).

وعلى أية حال نعود إلى موضوعنا ونحن لم نغادره.فربما تكون اتفاقية كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر في سبعينيات القرن الماضي، أقوى ضربة توجه للقضية الفلسطينية طيلة تاريخها، وتأتي الحرب العراقية – الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي لتشكل عاملا حاسما في هذه القضية، سيما بعد الاستقطاب المادي الذي قدمه النظام العراقي السابق لحركة فتح والتسهيلات الكبيرة الأخرى، وانزواء هذه الحركة ومعها الدول العربية خلف النظام البعثي في حربه ضد إيران، شكل هذا الوضع بداية النهاية للقضية الفلسطينية، ثم لتأتي الطامة الكبرى بدخول النظام العراقي السابق واحتلاله الكويت عام ١٩٩٠م، لتكتب أخر الصفحات في هذه القضية، وربما لهذه الأسباب ولغيرها وربما لرغبة بعض الدول العربية بالتعاون والتطبيع مع إسرائيل جاءت اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٤ بين حركة فتح وإسرائيل من جهة والأردن وإسرائيل من جهة أخرى، وقد اعتبرته الدوائر الغربية (أعظم أنجاز في التاريخ الطويل للصراع الفلسطيني– الإسرائيلي)[٢٢]. عزلت هذه الاتفاقية وقبلها اتفاقية كامب ديفيد كلاً من سوريا والقوى الممانعة في لبنان، وظل العراق ولا يزال العدو التقليدي لإسرائيل، بغض النظر عن شكل النظام ومن يحكم العراق،فالموضوع له بعد جماهيري وعقائدي، بينما برزت إيران كعدو رئيسي آخر بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، هذا الانعزال شكل محوراً من محاور الاستقطاب الإقليمي محل البحث، فاغلب

الدول العربية تريد علاقة وتطبيعاً مع إسرائيل، والقضية الفلسطينية بالنسبة لحركة فتح أصبحت نزاعاً على أراضٍ وأملاك ليس إلا، فقد أريد لهذه القضية أن تذوب وتتماث أنمياث الملح في الماء، ففي وقت كانت هي القضية المركزية للعرب والمسلمين فقد (تعرضت القضية الفلسطينية إلى نوع من التراجع في أولويات النظام الإقليمي العربي الرسمي، نظرا لبروز قضايا أو صراعات بدت لفترة في موقع الأولوية رقم واحد ثم مع تطور الأحداث، إما بحل هذه القضية المستجدة أو تراجع الاهتمام بها)[٢٣]. ولكن تبقى القضية الفلسطينية محور رئيسي للصراع في منطقة الشرق الأوسط والعالم، وتبقى القضية الفلسطينية محورا للاستقطاب الإقليمي في المنطقة، سواء أكانت القضية بالنسبة للبعض نزاعاً على الأراضي أو قضية مصيرية تهم العالم والمنطقة بأسرها. (فإن فشل المفاوضات المؤكد وهذا ما تريده إسرائيل وتعمل من أجله وبقاء القضية الفلسطينية دون حل سيعني استمرار أحد أسباب التوتر وعدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط) [٢٤] فنحن أمام محورين لهذه القضية، محور الممانعة والمقاومة المسلحة، ومحور التطبيع والمقاومة السياسية، وبحسب مبدأ الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات (خذ وطالب) أي نحن نأخذ المتاح ثم نطالب بالأكثر، وبين هذه المحورين الرئيسين ينشأ محور وموضوع جديد للاستقطاب الإقليمي، فمحور المقاومة المسلحة لا يسمح بتمييع القضية من خلال اتفاقية الأرض في مقابل السلام، ووراء هذا المحور إيران وسوريا والعراق وبعض الدول العربية والإسلامية وبعض دول أمريكا اللاتينية، في مقابل محور المقاومة السياسية والذي يدعم من أغلب دول العالم ودول مجلس التعاون، فهي معادلة صعبة وحرجة للغاية بل محرجة أيضا. وتحتاج حلولاً ناجعة ومؤكدة وقريبة. ولا أعتقد أن هناك حلاً سريعاً وفعالاً لهذه القضية،فالأطراف متشنجة لدرجة وصلت إلى حد القطيعة وتنذر بحرب جديدة على الساحة الفلسطينية،فلا يمكن للفلسطينيين أن يتغاضوا أو يتنازلوا عن حق العودة ولا يمكن أن يعترفوا بيهودية الكيان الإسرائيلي، وفي المقابل لا يمكن للاحتلال الصهيوني أن يوافق على التفاوض وإنهاء المشكلة إلا بتطبيق شروطه، واقعا المعادلة صعبة للغاية ولا يلوح حل جديد في الأفق، ولا افترض أن أحداً يملك عصا موسى أو خاتم سليمان. وهذه القضية تقف عائق بين الدول العربية التي تريد التطبيع مع الكيان الصهيوني، فسوف يكون موقفها محرج للغاية إذا وقعت اتفاقيات مع إسرائيل والقضية معلقة بدون حل،

فسوف تكون هذه الاتفاقيات بمثابة دق المسمار الأخير في نعش المفاوضات وقضايا التسوية،بين العرب والصهاينة،وسوف تكون نهاية المأساة الأبشع في القرن العشرين مأساة تشريد وقتل شعب بكامله.

لقد توقع الغرب والكثير من دول العالم أن اتفاقية أوسلو ١٩٩٤ سوف تحمل معها مفتاح الحل السحري، إلا أن النتائج جاءت سلبية ففي حين(كان من المتوقع لعملية السلام بين العرب وإسرائيل في مرحلة ما بعد اتفاقية أوسلو، أن تعيد الأمور في منطقة الشرق الأوسط إلى طبيعتها لتصبح كغيرها من مناطق العالم، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان الفكرة الصهيونية القديمة عن ضرورة جعل حياة المجتمع اليهودي حياة طبيعية)[٢٥] إلا أن التوقعات جاءت معاكسة لهذا الأمل والحلم بتحقيق دولة إسرائيل الكبرى.

المقصد الرابع: الممرات المائية ومشكلة المياه العذبة: تشكل الممرات المائية في منطقة الشرق الأوسط وهي (قناة السويس، مضيق باب المندب، مضيق هرمز) أهم ممرات مائية بالنسبة للغرب والعالم أجمع، فهي تشكل ممرات للتجارة الدولية ونقل مصادر الطاقة والبضائع وغيرها، وقد شاهدنا كيف تضررت العديد من دول العالم ومن بينها العراق وإيران في حرب السنوات الثمان وفيما بعد في حرب تحرير الكويت، بعد أن أغلق ممر مضيق هرمز المائي لعدة مرات وحدثت فيها العديد من العلميات العسكرية والحربية العنيفة، وكذلك تأتي الأهمية بالنسبة للمياه العذبة، فلنتصور ماهو موقف العراق وسوريا من بناء سد أتاتورك في تركيا، ولنتصور ماهو موقف مصر من سد أثيوبيا، أنها الحرب بدون أدنى شك، هنا لا أريد أن أبدو متشائما وأتوقع حربا ربما لا تقع بحسب رأي البعض، ولكن الواقع يفرض علينا رؤية مختلفة، فأي حرب صغرت أم كبرت فهي كفيلة بغلق كل الممرات المائية المهمة وشل حركة العالم ككل، ولا افترض أن أحدا يريد إعادة تجربة حرب الخليج الأولى- حرب الثماني سنوات- أو حرب الخليج الثانية- تحرير الكويت- عندما أغلقت الممرات المائية المهمة وأصبح المرور فيها أشبه بالمرور بالجحيم. إذا (الصراع على المياه في الشرق الأوسط ربما يكون الصراع القادم و الطويل الأمد و هو سمة المستقبل لأن تحقيق الأمن المائي من الأولويات التي تفرضها المرحلة المقبلة، ففي دراسة حول الشرق الأوسط لمعهد الدراسات الإستراتيجية في لندن في العام ١٩٨٩ جاء أن السنوات العشرة التالية ستشهد حرباً للسيطرة على مصادر المياه بسبب تزايد عدد سكان المنطقة و زيادة برامج النمو الاقتصادي و تراجع و نقصان الكميات المتوفرة من المياه، و هذا النزاع سيؤدي إلى

تحطيم الروابط الهشة بين دول هذه المنطقة، و تطرق مساعد و زير الخارجية الأمريكية (هارولد سوندرز) في تقرير له حول الشرق الأوسط إلى أن الخطر لا يأتي فقط من النزاع على النفط بل إن هناك مصدراً آخر للقلق في المنطقة و هو ندرة المياه، مضيفاً أن هذه المسألة سوف تحظى باهتمام القادة السياسيين على نحو متزايد خلال السنوات القادمة. و أشار الكاتب الأمريكي (جول كولي) في كتاب له بعنوان "حرب المياه" إلى أن منطقة الشرق الأوسط سوف تشهد حرباً على المياه بعد نفاد النفط، حيث أن خطط التنمية سوف تعتمد على المياه فقط، و جاء في مقال لنائبة رئيس معهد الموارد المائية الأمريكية "جيسيكا ماثيوز" نشر في واشنطن، إذا كانت عملية السلام مقابل الأرض صعبة التحقيق فإن مبادلة المياه بالسلام مستحيلة و أن أي اتفاق سلام لا يعالج مشكلة المياه بين إسرائيل و الدول العربية المعنية لن يكتب له النجاح لأنه سيكون مثار جدل و صراع باستمرار)[٢٦]. واحدة من العوامل الرئيسية لمشكلة المياه أن مصادرها تأتي من دول مغايرة قوميا لدول الشرق الأوسط، فنهر دجلة والفرات ينبعان من تركيا والنيل ينبع من أثيوبيا ومن البحيرات العظمى وسط أفريقيا، فهذا الاختلاف القومي بين دول المنبع ودول المرور والمصب، يشكل عائقا إستراتيجيا مهما للغاية، ويشكل المنبع ميزة – جيوبوليتيكية– إستراتيجية لدول المنبع في مقابل دول الممر والمصب، [٢٧]. كذلك تشكل مشكلة الأردن ولبنان مع الكيان الصهيوني عائقا أخر في قضية الاستقطاب في الشرق الأوسط، فمع تزايد التوافد على فلسطين المحتلة من قبل اليهود المهاجرين وزيادة حجم المستوطنات وتوسعها وبناء مستوطنات جديدة والمشاريع التنموية في الكيان الإسرائيلي وغيرها، كل هذا يشكل عوامل أخرى للحاجة لمياه أكثر من السابق، والأمر ينطبق على دول شبه الجزيرة العربية أيضا، فهي ليست خارج المعادلة أبدا، فالتصور عن الممرات المائية وعن المياه العذبة الآن هو كيفية المحافظة على أعلى نسبة من ضبط النفس وعدم الخوض في حروب جديدة، حتى لا تغلق الممرات من جديد، وبالنسبة للمياه العذبة كيفية المحافظة على التوازن بين دول المنبع وحقوقها الطبيعية والقانونية ودول الممر والمصب وحقوقها الطبيعية والقانونية أيضا، هذا التوازن سوف يبقى هش بصورة مستمرة ودائمة، مما يعني الدخول في حرب أو حروب بمجرد الخلل في ميزان التوازن هذا لصالح طرف أو أطراف على حساب طرف أو أطراف أخرى.

المقصد الخامس: القضية الكردية.

كان للحرب العراقية– الإيرانية، وحرب تحرير الكويت وما أعقبها من انتفاضة شعبية شملت العراق كله عام ١٩٩١ (آثار سيئة على تماسك المجتمع العراقي، لأن هذه الأحداث عززت الهويات العرقية والطائفية على حساب الهوية الوطنية العراقية، ففي شمال البلاد ضعف الولاء للدولة إلى أقصى حد، كنتيجة غير مباشرة للحرب، ومع ظهور معقل منفصل للأكراد لا يعترف بسلطة الحكومة المركزية في بغداد، واشتدت الروح الانفصالية الكردية بسبب القمع الوحشي الذي مارسه النظام البعثي الحاكم في العراق)[٢٨]. شكلت ولا تزال القضية الكردية هاجسا متعدد العوامل لكل من العراق وإيران وتركيا وسوريا، وكذلك شكلت هذه القضية أزمة أخلاقية لهذه الدول وللدول الأخرى في العالم، بسبب الحدة والقسوة التي تعاملت فيها أنظمة العراق وتركيا مع الأكراد، ورغم أن حدة الأزمة أكبر بالنسبة للعراق وتركيا، إلا أنها شكلت هاجسا متعدد العوامل لإيران وسوريا أيضا[٢٩].

.فحلم تأسيس دولة كردية تضم منطقة كردستان في الدول الأربع سالفة الذكر، هي الأساس في النضال الكردي على مدى قرون، وفي الأعم الأغلب أخذ شكل الصراع بين الكورد وأنظمة الدول الأربع الشكل المسلح، وكان الأكثر حدة هو بين الكورد وبين أنظمة العراق وتركيا، فآخر حرب بين نظام حزب البعث البائد وبين الكورد كانت عام ١٩٩١م، بعد حرب تحرير الكويت ونشوب الانتفاضة الشعبية العارمة في العراق، فبعد الانتفاضة الشعبية حظي الكورد بمنطقة شبه مستقلة ومحمية من قبل الغرب وعلى رأسهم أمريكا في شمال العراق، أي في منطقة كردستان العراق، وقد تم تقاسم مناطق النفوذ في كردستان العراق بين حزبين رئيسيين هما الوطني الديمقراطي والاتحاد الوطني،ورغم حصول نزاع مسلح بين الحزبين منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي،وتدخل قوات الحرس الجمهوري العراقي آنذاك، إلا أن هناك نوعاً من التفاهمات حصلت فيما بعد وترسخت بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، حقق الكورد في العراق مكتسبات كبيرة جدا وهم الآن شبه مستقلين، وهناك محاولات حقيقية في الاستقلال عن العراق، إلا أن عوائق كبيرة تقف بينهم وبين إعلان هذا الاستقلال بصورة رسمية، منها قضية الموارد الاقتصادية، فالكورد يطمعون في الحصول على كركوك الغنية بالنفط والتي تشكل في شكلها وبيئتها الأثنية والاجتماعية عراقاً مصغراً، وهذا ما قاتل الكورد عليه في كتابة الدستور العراقي الجديد بتضمينه المادة ١٤٠، والتي فقدت شرعيتها الآن، إلا أنهم متمسكون بها، ولغرض تمويل مشروع الاستقلال وبناء الدولة الحلم،

شرعت الحكومة المحلية هناك بتصدير النفط الخام خلسة أحيانا و بصورة معلنة تارة أخرى، مما أثار حفيظة الحكومة الاتحادية في بغداد،وسبب مشاكل كبيرة وصلت لحد أن حشدت بغداد قواتها المسلحة على تخوم كردستان العراق، وهناك عائق أخر هو أمن الدولة الكردية بعد تحققها، فمن يضمن عدم نشوب حرب بينهم وبين الحكومة الاتحادية في بغداد فضلا عن إيران وتركيا؟، فنشوء الدولة الكردية في العراق معناه قيام حركة تمرد جديدة في إيران وانتهاء الهدنة بين حزب العمال والحكومة التركية، مضافا إليها وجود تمرد حقيقي الآن في سوريا بسبب الفتنة المشتعلة هناك الآن. فهذه الدول مجتمعة لم ولن تقبل أن يتم اقتطاع أجزاء منها، تعد تاريخيا جزءاً لا يتجزأ من وجودها الجيو– سياسي، فقيام الدولة الكردية الآن معناه نشوب حرب إقليمية تكون بابا لدخول القوات الغربية في معادلة الصراع المسلح، وهو أمر أخر لا تستطيع الدول الأربع تحمله أو تحمل نفقاته، فالعراق يخوض حربا معلنة طائفية في الأساس وإن أخذت ظاهريا شكلا سياسيا،تمولها دول الخليج بصورة معلنة، وسوريا هي الأخرى مبتلاة بفتنة داخلية ممولة من نفس الجهات الخليجية وجهات غربية أخرى، وتركيا أردوغان تترنح تحت ضربات الفساد ومظاهرات التجمعات العلمانية، والتي رأت وجود خطر حقيقي في حكومة أردوغان الإسلامية ذات الطابع الأخواني، وليست إيران بمنأى عن هذا الصراع، فمشكلة النووي الإيراني والحصار الاقتصادي الذي تتعرض له الجمهورية الإسلامية وخطورة التواجد الغربي على حدودها مع أفغانستان وغيرها، كل هذه العوامل تشكل خطرا حقيقيا على هذه الدول، وفرصة ذهبية للكورد في تحقيق حلمهم القديم– الجديد، بتأسيس الدولة الكردية العتيدة.

وحلا لكل هذه المشاكل العويصة يتقدم هذا البحث بهذه الرؤية الإستراتيجية، والتي تقوم على أساس تأسيس حلف رباعي يكون حلا أساسيا لمشكلة الاستقطاب، ويقدم حلولا ضمنية لكل المحددات التي سبق وعرضناها آنفا.

المبحث الثالث: رؤية استراتيجية لحل مشكلة الاستقطاب:

حلف الأربعة:

وعدنا في بداية البحث بأننا سوف نقدم رؤية استراتيجية تعد حلاً لمشكلة الاستقطاب، وهي فرضية قابلة للأخذ والرد شأنها شأن باقي الفرضيات في هذا العالم، ولكنها تعد رؤية جديدة لحل مشكلة قديمة، تتكون الفرضية من تشكيل حلف رباعي بين دول المنطقة الرئيسية وهي

(العراق، إيران، تركيا، سوريا)، وهذا الحلف يشكل في كل بنوده خطوة استراتيجية سوف تعيد التوازن للمنطقة، وتحل مشاكل الصراع والتي أغلب الظن أنها مشكلة تضارب وتقاطع للمصالح بين هذه الدول (وربما دول غيرها قريبة جغرافيا)، فهذه الدول الأربع تشترك في المصالح الآتية:

المقصد الأول: الدواعي الاستراتيجية لتشكيل هذا الحلف.

المصالح المشتركة:

١- المياه: إذ تستفيد هذه الدول من نهري دجلة والفرات.

٢- الموارد الطبيعية : فحدود هذه الدول متداخلة وبالتالي تكون مشكلة تقاسم الموارد الطبيعية مشكلة حقيقية.

٣- العرقيات: تعيش في هذه الدول عرقيات متعددة كالكورد والتركمان والأتراك وغيرهم وبأعداد مختلفة وبأمكنة متقاربة جغرافيا بل متلاصقة في بعض الأماكن ومتداخلة إلى حد كبير.

٤- الديانات: تشترك هذه الدول بالدين الإسلامي كدين رئيسي لأغلب شعوب هذه الدول، مع تنوع مذهبي في نفس الدين الواحد، مضافا إليها وجود أديان أخرى كالمسيحية واليهودية والزرادشتية ونحوها. وشكل هذا التنوع الديني والمذهبي مشكلة أدت إلى حروب طاحنة وتبادل للسلطة بشكل دموي (الدولتين العثمانية- والإيرانية (بتعدد عوائلها وسلاطينها) أنموذجا) على طول رقعة إيران والعراق وسوريا وتركيا الجغرافية.

٥- العلاقات الاجتماعية :تشترك هذه الدول الأربعة بعلاقات اجتماعية متداخلة إلى حد بعيد، مثل الزيجات المتبادلة والإقامة المستمرة التي تصل في أحيان كثيرة إلى حيازة جنسية البلد الآخر، بل حتى نقل الموتى والدفن في العتبات والمزارات الشريفة في العراق وفي سوريا وإيران.

٦- العلاقات العلمية والثقافية: تشترك هذه البلدان في الجانب العلمي والثقافي من خلال تبادل الطلبة بين حوزاتها وجامعاتها ومعاهدها ، واستمرار بعض الطلبة في التحصيل إلى أخر حياته(٣٠).

٧- التبادل التجاري والاقتصادي: وهذا التبادل تاريخي ولازال مستمرا لحد هذا اليوم ويتفاوت سعة وضيقا تبعا لنوع العلاقات التي تنشأ بين هذه الدول الأربعة ونوع الحكومات التي تتسنم سدة الحكم.

وطالما شكلت هذه الأسباب وغيرها عوامل ضغط تستخدمها الدول لتنفيذ مصالحها على أرض الدول الأخرى، وجرت حوادث مؤلمة أرض معروفة لدى الأعم الأغلب من الناس. كل هذه العوامل التي كانت عقبة وسبباً رئيسياً في نشوء النزاعات والتوتر من الممكن أن تنتج

تحالفا إستراتيجيا بين هذه الدول الأربع، يتحول فيما بعد إلى اتحاد إستراتيجي. فتركيا تعلم بأن الاتحاد الأوروبي لم ولن يسمح لها في يوم من الأيام أن تكون شريكة معه، فمن غير المنطقي أن يغفل الاتحاد الأوروبي موضوع دين الشعب التركي – أي الدين الإسلامي– ويسمح لعشرات الملايين من المسلمين الأتراك بالدخول والخروج وممارسة العمل والتنقل بين بلدان الاتحاد الأوروبي. كما أن النفس السائد في هذه البلدان ضد دخول تركيا في الاتحاد الأوروبي. وإنشاء علاقة استراتيجية مع إسرائيل أو غيرها من بلدان المنطقة أمر غير واقعي، بسبب عدم موافقة شعوب هذه الدولة – تركيا– فضلا عن شعوب البلدان الثلاثة الأخرى على هذه العلاقة. والحكومات تدرك هذا الأمر جيدا. إضافة إلى التغيرات المستمرة في الخريطة السياسية والاقتصادية لبلدان العالم مما تشكل خطورة حقيقية على سيادة هذه البلدان. إذا عرفنا أن اقتصاد هذه الدول قلقاً وغير مستقر.هذا بالإضافة إلى إرهاصات نهوض الصين كقطب منافس للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك استيقاظ الدب الروسي في هذه الحقبة المفصلية من تاريخ المنطقة، مما ينذر بتغيير في خارطة العالم للخمسين سنة القادمة.

المقصد الثاني: الأسس والمبادئ الأساسية لهذا الحلف الرباعي: بيضة القبان.

لابد من بيضة القبان.ولابد لهذه البيضة أن تكون ذات ثقل حقيقي وواقعي حتى تستطيع أن توازن، أو تكون هي بنفسها صمام أمان للأمن بكل مفاصله في منطقة الشرق الأوسط وفي أسيا وأوروبا مستقبلا.هذه البيضة تنتج من خلال تحالف إستراتيجي بين (تركيا، إيران، سوريا، العراق) يتحول إلى اتحاد إستراتيجي مع مرور الوقت وتطور العلاقة وترسيخها، أفترض أن هذا التحالف كفيل بحل كل المشكلات السابقة والتي بدأت تثقل بحسب الظاهر كاهل هذه الدول.

يقوم هذا التحالف على أسس ومبادئ عامة تتحول إلى إستراتيجيات فعالة مع الوقت، ومن أهم هذه الأسس والمبادئ ما يلي:

١– حسن النية: فلابد من تصفية النوايا بين هذه الدول على مستوى القيادات السياسية، لأن الشعوب في الغالب تتبع السياسات العامة لحكوماتها والآملات الإعلامية التي توجهها تلك الحكومات إلى شعوبها بحسب نوع العلاقة التي تحكمها بتلك البلدان، حسن النية أمر ضروري للغاية فمن خلاله يتم البدء بمشروع الحلف وتوثق هذه الموضوعة بين قيادات هذه الدول كبروتوكول عمل ملزم لكل الأطراف.بغض النظر عن من

يدير هذه الحكومات، أي ينبغي أن نعي بصورة واضحة أن لا يقف من يدير الحكومة عائقاً أمام تشكيل هذا الحلف، فهو حلف يفترض أن يكون عابر للقارات وليس إقليمياً فقط، فقضية عدم تنفيذه بحجة وجود شخص غير مرغوب فيه يدير حكومة البلد الفلاني تفكير ساذج للغاية، ولا يدل على رؤية أو بعد إستراتيجي ممن يفكر بهذه الطريقة البالية والساذجة.

٢- تنظيم وتوقيع مجموعة من الاتفاقيات: ويبتدئ بالتبادل والتعاطي السياسي على مستوى سفير بدرجة وزير، ثم توقع اتفاقية تبادل تجاري على عدة مراحل تطورية تنتهي برفع الحواجز عن التبادل التجاري بين هذه الدول شرط عدم الإخلال بالموازين الاقتصادية لأي دولة من دول الحلف، ويصار في المستقبل إلى رفع تأشيرة الدخول وتوحيد العملة وإنشاء صندوق نقد مشترك تساهم فيه هذه الدول الأربعة لدعم الاستثمار وتوسيعه، ويتم دعم هذا الصندوق من واردات هذه البلدان بحسب ما يراه خبراء الاقتصاد فيها ومن أي جهة مالية يمول، ودعم خطط الانفتاح الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي وحل مشكلة الفقر والبطالة وغير ذلك، على أن تشكل لجان من هذه البلدان على مستوى وزير لتلافي الإشكالات التي قد تحصل عند التنفيذ.

٣- التقاسم العادل للثروات الطبيعية المشتركة بين هذه البلدان: أعني المياه المشتركة وآبار النفط والغاز المشتركة، وكل ما يقع فيه الاشتراك بين هذه الدول، مما يفضي إلى رفع كثير من العقبات الاقتصادية والسياسية والأمنية والاجتماعية، ويؤدي إلى سيولة ومرونة في التعاطي مع الآخر.

٤- التبادل العلمي والثقافي والاجتماعي: وبشكل ممنهج وشفاف بين شعوب هذه البلدان برعاية منظمات المجتمع المدني في هذه الدول والمنظمات الدولية المهتمة بهذا التبادل.مما يعزز روابط المحبة والألفة بين شعوب هذه الدول ويفعل الشعور بمسئولية المصير المشترك بين هذه الشعوب. كما تحرص الحكومات على عقد اتفاق إستراتيجي بتعزيز الروابط العلمية والثقافية والاجتماعية بين هذه البلدان ونشر تراث هذه البلدان والتعريف بثقافاتها وعاداتها وتقاليدها، الخ.....

٥- ينتقل بعدها إلى تطوير علاقة أمن مشترك بين هذه الدول تقوم على أساس الدفاع المشترك وتبادل المعلومات ومكافحة الإرهاب والجريمة بكل أنواعها.ويتم ذلك من خلال تشكيل مجلس أمن الحلف يقوده زعماء هذه الدول الأربعة بالتناوب، والذي يرسم استراتيجية الدفاع المشترك وكيفية مواجهة الأخطار المحدقة بهذه البلدان. على أن تكون هذه الإستراتيجية ملزمة بغض

النظر عن شكل الحكومات التي تتعاقب على قيادة هذه البلدان، وقابلة للتطور مع المستجدات العالمية.

المقصد الثالث: القيادة:

قيادة الحلف تكون دورية بين دول الحلف الأربع بواقع سنة واحدة لكل دولة ويكون رئيس تلك الدولة أو رئيس وزرائها هو قائد الحلف السياسي والعسكري.ولا ننسى أن نذكر أن بلدان الحلف مستقلة استقلالا تاما من كل النواحي وهذا الاستقلال لا يؤثر في شكل الحلف أو أهدافه المتوخاة، ولا الغاية التي من أجلها أسس هذا الحلف، نعم يبقى الطموح وهو أمر ممكن ولكنه صعب، أن تتوحد دساتير تلك البلدان بما يوافق تقاليدها وأعرافها وبما لا يخالف قواعد حقوق الإنسان الأساسية، والمفاهيم الديمقراطية تلك المتعلقة بالجانب السياسي دون القيمي منها، وهو أمر ممكن للتقارب الجغرافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي بل حتى الديني بين بلدان هذا الحلف.

١-اسم الحلف:- نستطيع أن نسمي هذا الحلف بحلف وسط العالم أو حلف الوسط أو حلف شرق المتوسط أو حلف الأربعة، أو أي اسم قد تتفق عليه دول الحلف.وكذا الشعار والعلم الذي يرمز إلى أهداف وغاية دول هذا الحلف. كما يتم الاتفاق على ناطق رسمي للحلف تكون مهمَة دورية ويستبدل كل سنة بشكل دوري من دول الحلف.

٢- المؤسسات: تؤسس مجموعة من المؤسسات تقسم أماكن وجودها بين دول الحلف الأربع، وأهمها:

١- قيادة الحلف: ويكون مقر لها في كل دولة من دول الحلف.

٢- دائرة الاقتصاد المشترك: وتكون بإحدى دول الحلف هي وباقي المؤسسات الآتية بشكل متوازن.أي تكون مؤسسات الحلف عدا مقر القيادة موزعة بين دول الحلف أما بالتوافق أو بالاقتراع فيما بين دول الحلف والثاني أفضل.

١- دائرة الدفاع المشترك .

٢- دائرة العلاقات الخارجية.

٣- الدائرة السياسية للحلف.

٤- دائرة العلاقات الداخلية لدول الحلف.

٥- الدائرة القانونية والإدارية للحلف.

٦- دائرة العلاقات الإستراتيجية مع دول العالم.

٧- الدائرة الإعلامية للحلف.

ومن الممكن استحداث مؤسسات أخرى متى دعت الحاجة والضرورة لذلك وبالتفاهم بين دول الحلف.

المقصد الرابع: العلاقات مع الآخرين:

ليس هذا الحلف أو الاتحاد المستقبلي، أو بعبارة أخرى لا يشكل هذا التحالف محورا ضد أحد، بل على العكس تماما، إذ يعد هذا الحلف صمام أمان للعديد من القضايا والمتغيرات في المنطقة. سواء الاقتصادية أو السياسية أو غيرهما.ولا يسع هذا البحث للدخول في تفاصيل هذه القضايا والمهام. نريد هنا أن ننّظر للعلاقات مع الشرق والغرب والجنوب. فعلاقة هذا الحلف مع الدول العربية هي علاقة إستراتيجية ومهمة للغاية، فرغم أن هذه الدول تشكل العمق الاستراتيجي لبعضها البعض، إلا أن هذا لا يعني إغفال ما يشكله العمق العربي والعمق الإسلامي لهذا الحلف، فلابد من تكوين علاقات واسعة تقوم على أساس التفاهم مع هذه الدول والانفتاح عليها في كل المجالات،لا بغية ضمها للحلف لأن هذا يولد توسعاً غير منطقي، سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن دول المحيط العربي ودول شمال إفريقيا العربية لم تنجح ولن تنجح في تكوين علاقات مثمرة على طول الخط التاريخي للقرن العشرين، مع بعضها البعض ومع باقي الدول الإسلامية، بسبب البون الشاسع فيما بينها من حيث السياسات العامة التي حكمت هذه البلدان، فلا اللغة الواحدة ولا المصير الواحد المزعوم استطاعت أن تنتج وحدة عربية متماسكة ولن تنتج، ولا حتى الدين الواحد أنتج وحدة، أن ما ينتج الوحدة هي المصالح المشتركة لا شيء أخر، ونأخذ أيضا بنظر الاعتبار التغيرات الواسعة في شكل ومنظومة الفكر السياسي وتحوله من الشمولية الدوغمائية،والتي تقوم على أساس جعل هدف مركزي يلتف حوله الجمهور العربي لتوحيد مصيره، والنظرة إلى الآخر على أساس أنه عدو حقيقي في حال أراد الخروج عن هدف المجموع، إلى الواحدية أو الأحادية في النظر والتي تقوم على أساس بناء الداخل والاهتمام به وترك الاهتمام بالهدف المشترك والمصير المحتوم للأمة العربية والإسلامية، لأنها أثبتت عدم جدواها بل أنها غير منطقية وغير واقعية البتة. فالاهتمام ينبغي أن ينصب على شكل هذه العلاقة مع الدول العربية والإسلامية منفردة، لا على شكل مجموعة، وكذلك الأمر بالنسبة لدول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ودول الشرق،أعني الصين واليابان ودول شرق أسيا وروسيا والهند وباقي الدول، ينبغي أن تكون العلاقة بين الحلف وبين هذه الدول على شكل تفاهمات منفردة تقوم أساسا على المصالح المشتركة لدول هذا الحلف مجتمعة،وما تقدمه لها هذه التفاهمات والاتفاقيات من منفعة وخير، أي لا تقوم على أساس العاطفة والدعم بدون مقابل والتي كانت تقوم عليها نظريات القرن العشرين.لذلك ينبغي أن تكون العلاقات مع

الآخرين" بغض النظر عن قربهم الجغرافي أو الديني أو القومي" قائمة على أساس المصالح المشتركة وما تستطيع هذه البلدان أن تقدمه لدول الحلف، وما يستطيع أن يقدمه الحلف لهذه الدول.وينبغي أن نذكر أن أي علاقة بين دولة من دول الحلف وبين غيرها ينبغي أن يصب في مصلحة كل دول الحلف، لا دولة بحد ذاتها لأن الهدف والغاية واحدة بين دول الحلف بحسب الفرض.وأفترض هنا أيضا أن هذا الحلف إذا قام وتأسس فسوف يكون أهم حدث في القرن العشرين، بل ربما يكون أهم حدث في المائة العام الماضية.

الخاتمة والتوصيات: من خلال العرض السابق لمشكلة الاستقطاب الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، ولحل المشكلة جذريا قدمنا حلا استراتيجيا تمظهر في تشكيل حلف رباعي بين دول (العراق، إيران، تركيا، سوريا)، انطلاقا من فلسفة بنيتها وتبنيتها منذ سنوات، هذه الفلسفة تقوم على أساس (أن حل أي مشكلة يكمن في إفراغها من محتواها) فتشكيل الحلف الرباعي إفراغ للمشكلة من محتواها وتسريب متبنيات الصراع في الأرض، كما يتسرب التيار الكهربائي الفائض عن الحاجة إلى الأرض بدون الأضرار بالآخرين، وعليه نوصي بالآتي:

١- أخذ موضوع الاستقطاب على محمل الجد من قبل دول المنطقة.

٢- السعي لتأسيس هذا الحلف بكل قوة لغرض الخروج من دائرة الاستقطاب الإقليمي.

٣- تجاوز الخلافات ووضع حلول إستراتيجية للمشكلات العالقة بين هذه الدول الأربع وبصورة سريعة ومفيدة للجميع.

٤- محاولة صناعة مصدات قوية بوجه التدخل الغربي والإقليمي في شؤون المنطقة، مما يؤدي إلى تأجيج الصراع بصورة مستمرة.

٥- زرع ثقافة التفاهم والحوار والاحترام المتبادل بين شعوب المنطقة من خلال العمل على صناعة برنامج توعوي وتثقيفي يتعاون على تنفيذه كل حكومات دول الحلف.

٦- السعي لحل المشاكل الاقتصادية وبناء اقتصاد قوي من خلال استثمار جزء من الدخل القومي لإنشاء دخل قومي احتياطي كبديل حينما تحل الندرة في الموارد الاقتصادية المتوفرة الآن.

٧- السعي لإقامة مؤتمر إقليمي يضم دول الاستقطاب كمقدمة لتأسيس الحلف الافتراضي، ترعاه الدول الأربعة مجتمعة ويؤسس لجنة التفاهم العليا بين دول الحلف الافتراضي ممثلة من رؤساء الحكومات ووزراء الاختصاص التي من المفترض أن تضع قواعد الحلف.

٨- السعي بجدية لدحر الإرهاب من خلال مكافحة أفكاره وموارده الاقتصادية وبؤره الاجتماعية، وتحييد قطاعات دعمه سواء أكانت محلية أو إقليمية أو دولية، من خلال سلسلة إجراءات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية مع السعي الحثيث لمحاكمة الدول والمنظمات الداعمة للإرهاب أمام القضاء الدولي.

٩-بعد تأسيس الحلف يعطي الحلف الفرصة للدول الضالة أن تعود عن سعيها لإشعال فتيل الحرب في المنطقة كبادرة حسن نية من الحلف الرباعي تجاهها.

١٠- بعد تأسيس الحلف الإسراع بتشكيل قوة ردع عسكرية مدعومة بمؤسسات اقتصادية قوية، تكون عاملا أساسيا في فرض خيارات جديدة في الساحة الإقليمية والعالمية.

١١- بعد تأسيس الحلف بناء روابط ثقافية وعلمية ودينية بين شعوب هذا الحلف.

الهوامش:

(١) ينظر للمزيد، وول ديورانت، قصة الحضارة، مجموعة من المؤلفين، تاريخ الحضارات العام،

(٢) د-عبد الوهاب الكيالي، كامل زهيري، الموسوعة السياسية، ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ص٣٣٤.

(٣) ينظر، موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، ت، يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، ط، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٦م، مج، ٧، ص٦٧٤.

(٤) ينظر، يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، ط، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، سنة ٢٠٠٢، ص١٢٠

(٥) يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط والصراع الدولي، ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٦، ص١٤١.

(٦) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٩٩٨، بحث ديفيد لونج، ص٨.

(٧) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين، بحث فيبي مار، ص٧٥.

(٨) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، النظام الأمني في منطقة الخليج العربي التحديات الداخلية والخارجية، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.سنة ٢٠٠٨، بحث، تيري رود لارسن، ص ٣٩-٤٠.

(٩) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين.بحث، جلين روبنسون، ص٢٤١.

(١٠) الشيخ جعفر حسن عتريسي، الشرق الأوسط على حافة الانفجار، إصدار مركز الأبحاث والفكر الإسلامي – ط، دار المحجة البيضاء، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨م، ص٨٩.

(١١) الشيخ جعفر حسن عتريسي، الشرق الأوسط على حافة الانفجار، ص٥٤-٥٥.

(١٢) الفكرة سوف تركز على علاقات العراق مع تركيا وسوريا وإيران. ونتيجة المحور المراد تشكيله يتم من خلال اتفاق هذه الدول الأربعة لإقامة الحلف الاستراتيجي الافتراضي .

(١٣) يلاحظ هذا الأمر في المرجعيات الفقهية وفي الكثير من طلبة العلوم الدينية في النجف وقم والسيدة زينب . وفي جامعات ومعاهد تركيا.

(١٤) ينظر، منير العكش، أميركا والإبادات الجماعية لعنة كنعان الإنكليزية، نشر رياض الريس للطباعة والنشر، ط، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة٢٠٠٩، ص١١.

(١٥) نظير الآيات الشريفة: هود٧٣.. الأحزاب٣٣... الشورى٢٣... المائدة٥٥... المائدة٣..... الإنسان٨...وغيرها بالعشرات، وكذلك الروايات الواردة عنهم(ص) ومن أهمها حديث الغدير وحديث المنزلة وحديث الكساء وغيرها.. ينظر.. العلامة عبد الحسين الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، نشر.مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.سنة ١٩٩٤م.

(١٦) القاضي أبي بكر بن عربي، العواصم من القواصم، ت، د، عمار طالبي، ط، القاهرة، مصر، مكتبة دار التراث، ١٩٧٤م.ص٣٣٧-٣٣٩.

(١٧) سورة الزخرف، ٣١

(١٨) الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، ط، السعودية، جدة، دار عالم المعرفة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣، ص ١٨٢ وما بعدها.

(١٩) ينظر، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين.بحث روز ماري هوليس، أوربا وأمن الخليج، ص١٢٢.

(٢٠) ينظر، محمود الشرقاوي، أمريكا وبترول الشرق الأوسط، ط، القاهرة، مصر، دار القاهرة للطباعة، ص٧ومابعدها.

(٢١) مصطفى اللباد، الطاقة الأمريكية تغير شكل الشرق الأوسط، مقال منشور في صحيفة السفير اللبنانية، العدد٢٠٥٤.في ٢٠١٤/٣/٣.

(٢٢) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، التقييم الإستراتيجي، تحرير زلماي خليل زاد، ط، ، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٩٩٧، الطبعة الأولى، بحث جراهام فولر، الشرق الأوسط، ص٢٤٠.

(٢٣) حسن أبو طالب، مقال، الاستقطاب الإقليمي ومستقبل القضية الفلسطينية، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٧/٧/١.

(٢٤) مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، عوامل عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط تبقى قائمة، دراسة نشرت في أخبار الخليج، العدد١٣١٢٣في ٢٠١٤/٢/٢٦.

(٢٥) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين، بحث، جلين روبنسون، ص٢٣٩.

(٢٦) إدريس نعسان، أزمة المياه والحرب الخفية في الشرق الأوسط، مقال، الحوار المتمدن، العدد٤١٤٥، في ٢٠١٣/٧/٦.

(٢٧) ينظر، د- سامر مخيمر و خالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية – الحقائق والبدائل الممكنة، كتب عالم المعرفة، نشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، العدد٢٠٩، ط، سنة ١٩٩٦م، ص٨

(٢٨) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين، بحث فيبي مار، ص٦٣.

(٢٩) ينظر ، د- عقيل محفوظ، تركيا والأكراد كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط، قطر ، الدوحة، سنة ٢٠١٢.

(٣٠) يلاحظ هذا الأمر في المرجعيات الفقهية وفي الكثير من طلبة العلوم الدينية في النجف وقم والسيدة زينب . وفي جامعات ومعاهد تركيا.

المراجع:

- القرآن الكريم.

١- إدريس نعسان، أزمة المياه والحرب الخفية في الشرق الأوسط، مقال، الحوار المتمدن.

٢- حسن أبو طالب، مقال، الاستقطاب الإقليمي ومستقبل القضية الفلسطينية، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية.

٣- د- سامر مخيمر و خالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية – الحقائق والبدائل الممكنة، كتب عالم المعرفة، نشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

٤- د- عقيل محفوظ، تركيا والأكراد كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط، قطر ، الدوحة

٥- د-عبد الوهاب الكيالي، كامل زهيري، الموسوعة السياسية، ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

٦- الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي، ط، السعودية، جدة، دار عالم المعرفة.

٧- الشيخ جعفر حسن عتريسي، الشرق الأوسط على حافة الانفجار، إصدار مركز الأبحاث والفكر الإسلامي – ط، دار المحجة البيضاء، بيروت ، لبنان.

٨- القاضي أبي بكر بن عربي، العواصم من القواصم، ت، د، عمار طالبي، ط، القاهرة، مصر، مكتبة دار التراث.

٩- محمود الشرقاوي، أمريكا وبترول الشرق الأوسط، ط، القاهرة، مصر، دار القاهرة للطباعة.

١٠- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، التقييم الإستراتيجي، تحرير زلماي خليل زاد، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

١١- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، النظام الأمني في منطقة الخليج العربي التحديات الداخلية والخارجية، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
١٢- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين، ط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
١٣- مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، عوامل عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط تبقى قائمة، دراسة نشرت في أخبار الخليج.
١٤- مصطفى اللباد، الطاقة الأمريكية تغير شكل الشرق الأوسط، مقال منشور في صحيفة السفير اللبنانية.
١٥- منير العكش، أميركا والإبادات الجماعية لعنة كنعان الإنكليزية، نشر رياض الريس للطباعة والنشر، ط، بيروت، لبنان.
١٦- موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، ت، يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، ط، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان.
١٧- موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، نشر وطبع، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، باريس.
١٨- نهج البلاغة.
١٩- وول ديورانت، قصة الحضارة، نشر، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، ط، دار الجيل، بيروت، لبنان.
٢٠- يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، ط، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان.